

# ملاحظات حول : (معجم الفاظ الفلاحة في شمال الأردن) ..

## للدكتور عبد العزيز طشطوش

——— بقلم : الدكتور محمد علي الزركان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة حلب - سوريا

الإذاعة العربية، في حين لا تزال فيه محطات الإذاعات الأجنبية الموجهة إلى العالم العربي مثل محطة الـ B.B.C البريطانية تستخدمن في بث برامجها اللغة العربية الفصحى السليمة نطقاً ونحواً وصرفًا، وإنها لا توظف إلا المذيعين القديرين الأكفاء لغويًا، بخلاف بعض الإذاعات العربية التي لا يستطيع كثيرون من مذيعيها قراءة نشرة الأخبار قراءة صحيحة دون أخطاء نحوية أو صرفية.

فالاهتمام باللهجات العامية العربية المحلية ظاهرة

ابتدعها بعض المستشرقين والمستعمرين لغایات معروفة، كانقصد منها إقصاء الفصحى عن التداول والاستعمال.

وهناك بعض من المستعربين الذين تأثروا بأفكار المستشرقين والمستعمرين فصاروا يدعون بدعوائهم، وينادون بأفكارهم باعتماد اللهجات العربية العامية والترويج لها واعتبارها لغة الحديث والكتابة، ويقصدون بذلك إبعاد أبناء الأمة العربية الواحدة عن لغة العروبة والإسلام وتفریقهم إلى شعوب وقبائل وأمم لا تجمعهم جامعة ولا تربطهم رابطة. حتى إن بعض هؤلاء الأدعية نادى باستبدال الحروف العربية بالحروف اللاتينية والكتابة بها، وذلك كما فعلت تركيا

دأبت الجامعات اللغوية العربية والاتحاد هذه الجامعات في مؤتمراتها واجتماعاتها على تكرار توکيد توصيات كانت قد اتخذتها في أمرین أساسین هما :

أ - استكمال التعریب في الدول العربية التي لم تبدأ به أو لم تستكمله بعد في الجامعات والمؤسسات العلمية.

ب - استخدام العربية الفصحى في وسائل الإعلام وفي المسرح والتلفزيون والسينما ...

وقد صدر توکيدأخیر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التاسعة والخمسين التي عقدتها بين 12 و 25 من شهر نيسان (أبريل) 1993، إذ أوصى الدول والحكومات وزارات الإعلام العربية بالعمل على إنجازها لأنها قضية قومية، وجزء من شخصيتنا العربية... ! هذه التأکيدات التي جاءت في وقت تباطئات فيه حملة التعریب في عدد من الجامعات العربية ومراكز التعليم العالي والدوائر والوزارات في عدد من دول المغرب العربي، وطفت اللهجات العامية المحلية على كثير من الإنتاج المسرحي والسينائي والتلفزيوني، فسيطرت هذه اللهجات على معظم أقنية البث التلفزيوني العربية، وامتدت إلى بعض محطات

(٤) المعجم نشر في العدد 35 من مجلة (اللسان العربي) العام 1991.

التي حددتها الباحث لا تشكل بمفردها منطقة جغرافية بشرية مستقلة متميزة.

لقد سرد الباحث 195 مفردة سماها (اللفاظ الفلاحية في شمال الأردن) ابتدأها بمصطلح (أرض الجراب) الذي شرحه قائلاً : «هي الأرض التي ترك دون زراعة طول الموسم، وذلك لضمان إنتاج أفضل في الموسم القادم....» فلو حققنا في الكلمة (الجراب) لوجدناها تعني مساحة الأرض واتساعها، فهي محرفة عن الكلمة (الجريب) وهو مساحة من الأرض يذر فيها مقدار مكعب الجريب الذي يعادل أربعة أقفزة من أي نوع من الحبوب»، فكلمة جراب تعني المساحة لا وصف الأرض التي ترك بدون زراعة، أما هذه فتسمى أرض الخيال لأنها تركت حولاً كاملاً دون زرع.

ثم أورد المفردات التالية : البذار والبقر والبذر والتيس والثني والثور والجراب والجيش والجدي والجلد والجلال والجمل المفتر<sup>(2)</sup>، والجمل القعود والخيال والخداجة والخوار والخولي... المخ وكأن لهجة شمال شرق الأردن مختصة بهذه المفردات دون سواها من المناطق الشامية الأخرى بل والعربية. فهل يوجد قطر عربي يجهل هذه المسميات ولا يسميها بهذه الأسماء؟!

ولقد شرح الباحث بعض هذه المفردات شرعاً بعيداً عن المعنى الحقيقي الذي وضعت له، فقال مثلاً في شرح الكلمة (الخداجة) : عبارة عن جلال - قطعة من الخيش محشوة بالقش - توضع على ظهر الجمل وتخصص لنقل الحبوب بوضع الشوالات على جانبي الجمل، وربطها بقطع خشبية مشببة فوق الجلال... المخ» لكننا نلاحظ أن هذا

في مطلع العشرينيات، ولكن فأئمهم خائب، وما كانت دعواتهم إلا سحابة صيف ما فكت أن تقشع

وبين حين وآخر يطالعنا بعض الباحثين بدراسة لهجة عامة دارجة لمدينة أو لمنطقة عربية معينة، أو يؤلف قوائم مفردات للكلمات المستعملة في الحديث اليومي أو في مهنة من المهن، وذلك كما فعل الزميل الدكتور عبد العزيز طشطوش، حينما نشر قوائم مفردات على أنها معجم لأنواع الفلاحية في شمال الأردن، فقال في مطلع بحثه :

«يتناول هذا المعجم - كما هو واضح من عنوانه - الألفاظ المستخدمة في اللهجة المحلية في مجال الفلاحية، نحو أسماء الزرع والأراضي الزراعية والأمطار وغير ذلك ... والمرجو من هذا العمل حفظ التراث الأردني في أحد جوانبه وهو الجانب الزراعي، وبائي ذلك ضمن اهتمام مركز الدراسات الأردنية وتوجهاته في توثيق التراث والحياة الأردنية في مناحيها المختلفة الذي هو نهاية، جزء من التراث».

ولكن الباحث يعلم حق العلم أن مثل هذه الأفعال لا تقدم ولا تؤخر، إلا إذا كان المهدف منها تأصيل هذه المفردات العالمية الدارجة وربطها بالفصحي، وإذا لم يكن ذلك فإن ضررها أكثر من نفعها للأسباب التي سبق ذكرها.

ولعل الباحث يدرك تماماً أن شمال شرق الأردن ما هو إلا جزء من بلاد الشام، بل ما هو إلا امتداد لجنوب منطقة حوران السورية التي تجمعها لهجة واحدة. فهذه المفردات التي سردتها الباحث موجودة في أماكن كثيرة من بلاد الشام بل وفي أماكن أخرى من البلاد العربية، وليس متصرفة على شمال شرق الأردن وحده. ففي ظني أن هذه المنطقة

(1) انظر : معجمي الصحاح وأساس البلاغة وغيرها.

(2) وصوابه (الفاطر) كما يسميه أهل البدية وكما هو في الفصحي.

الباحث أن يسميه بما سماها به أهل الbadia و هي كلمة (الشظاظ) وكأنه نسي المثل البدوي القائل : «إذا جاء العuir أكل من حاجته» وهو يضرب لمن ضاقت عليه سبل العيش، فبدأ ينفق من حاجات بيته.

ثم إن المجال لا يتسع للوقوف عند كل تسمية نقلها الباحث فالمأخذ عليها كثيرة، فأكثرها يحتاج إلى تصحيح وتوضيح، فما أوردناه هنا من ملاحظات كان على سبيل المثال لا الحصر. هذا فضلاً عن الأخطاء اللغوية وال نحوية والأسلوبية التي كانت كثيرة يصعب سردها في هذه العجلة، ففي الصفحة 191 رفع ما حقه النصب في كلمة (جيش) وفي الصفحة 192 رفع ما حقه النصب في كلمة (متشاربهان)... وهكذا فإن الملاحظات كثيرة لا تكاد تخلو منها فقرة واحدة من البحث، وما أوردناه منها كان على سبيل المثال لا الحصر.

الشرح يحتاج إلى شرح، فمثلاً كلمة (الجيش) كلمة محلية لا يعرفها كثير من العرب الفاصلين في أماكن أخرى، ولا يعرف قصده منها، فهل يريد بها (الجوت) الهندي، أو (الجنفاص) وهو كذلك نبات هندي، أو (الصوف) المعروف؟!. وكان الأولى بالباحث أن يوضح نوع النسبي المصنوعة منه الحاجة. ثم قال : إنها - أي الحاجة - تخصص لنقل الحبوب. فهل هي حقاً مخصصة لنقل الحبوب فقط؟ وفي ظني أن هذا الشرح خاص جداً، فالحاجة ليست مخصصة لنقل الحبوب فقط، بل هي شبيهة بحمل الدابة توضع على ظهر الجمل أو الناقة للمساعدة على الركوب والحمل، فهي تحيط بالسنان. ثم قال الباحث في شرح الحاجة : «وربطها بقطع خشبية»، ولكنه لم يسم هذه القطع ولم يصفها وبين شكلها وحجمها حتى يفهمها القارئ، فهل هي صغيرة أو كبيرة، طويلة أو قصيرة؟ فكان على

\* \* \*